

التطور التاريخي للمدرسة القرآنية

The Historical development of the Quranic school

الباحث: أحمد عينة، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الاجتماعية، ahmedaina81@gmail.com

أ.د. عبد العزيز راس مال، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الاجتماعية، rasmalabdelaziz@yahoo.fr

تاريخ النشر: 31/12/2021

تاريخ القبول: 23/11/2021

تاريخ الاستلام: 23/09/2021

ملخص:

جاءت في أهداف هذه الورقة البحثية التعرف على مراحل التطور التاريخي للمدرسة القرآنية وانعكاسها على النسق الاجتماعي داخل المدرسة وخارجها للتعليم القرآني كظاهرة اجتماعية متناسقة. وقد عاجلت هاته الورقة البحثية هذا الموضوع وفق خطة منهجية انطلقت من هيكل منهجي محكم، ومن اجل توضيح جيد لمفاهيم الورقة البحثية قام الباحث بتحليل مفهوم المدرسة القرآنية وكل المصلحات ذات الصلة الوثيقة بالموضوع، ولأن موضوع البحث يحدد منهجه، فلقد اختير المنهج الوصفي كمنهج للبحث لأنه يوفر للورقة الوصف والتحليل الدقيق للظاهرة، وفي النهاية خرج الباحث بالاستنتاج العام للموضوع وهو: أثرت التراكمات التاريخية للمدرسة القرآنية على بنيتها الهيكلية والسوسيولوجية، مقاومة بذلك كل التطور الذي حدث في شكلها ومضمونها ومقاومة في الوقت ذاته كل التفاعل الاجتماعي المتسارع الحاصل اليوم.

كلمات مفتاحية:

المدرسة القرآنية؛ التاريخ؛ السوسيولوجيا.

Abstract:

This research paper aimed at recognizing the stages of the historical development of the Quranic school and its reflection on the social system inside and outside the school of Quranic education as a coherent social phenomenon. The concept of the Quranic school and all the interests closely related to the subject, and because the subject of the research determines its approach, the descriptive approach was chosen as a method of study because it provides the paper with an accurate description and analysis of the phenomenon.

Eventually, the researcher came out with the general conclusion of the subject, which is: The historical accumulations of the Quranic school affected its structural and sociological structure, thus resisting all the development that occurred in its form and content and at the same time resisting all the accelerated social interaction taking place today.

Key-words:

Quranic school ; history ; sociology

1. مقدمة:

انطلق العمل بالمدارس القرآنية في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي، وقد كان ذلك بالضبط في السنة الثانية للهجرة النبوية المطهرة ونشوء الدولة الإسلامية التي كانت من أسسها العلم وتفعيل دور المدارس القرآنية، حيث انتشرت المدارس القرآنية انتشارا كبيرا مبكرا في العواصم والمدن الإسلامية على غرار عاصمة المغرب الإسلامي " القيروان " وما من قرية فتحها المسلمون إلا وأنشأوا فيها كتابا لتعليم أولادهم القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة وغرس السامية الأخلاق الحميدة في نفوسهم، وقد عمد الاستعمار الحديث إلى طمس معالم المدارس القرآنية حيث نجد أن الاستعمار البريطاني قد حارب المدارس القرآنية في مصر، فقد لوحظ أن الطفل إذا ذهب إلى الكتاب في السن من 3 سنوات إلى 6 سنوات يتعلم حوالي خمسين ألف كلمة قبل الدخول إلى الدراسة في التعليم الابتدائي، وعليه حاربوا كل هذه المقومات الكبيرة للكتاتيب.

أما في الجزائر فقد عمد الاستعمار الفرنسي إلى طمس فاعلية المدارس القرآنية بكل الطرق والأساليب المتاحة، لكن بفضل الله سبحانه وتعالى ثم إخلاص جمعية العلماء المسلمين 1931 وعلى رأسها عبد الحميد بن باديس تم الحفاظ على هذه المدارس القرآنية على صورتها اليوم، محافظة بذلك على مقومات الهوية الوطنية الدينية، ومحافظة على اللغة العربية من الاندثار، فتارة تسييرها السلطة الحاكمة، وتارة أخرى يسييرها رجال الخير والإحسان، ولما لحقت القرآن والمدارس القرآنية في غرس وتحديد القيم والسلوكات الحسنة، أهلها بصنع وجاء ووقاية للنشء من كل الانحرافات الفكرية والخلقية والدينية، وللإشارة فمن الأيام الأولى للاستقلال، بدأت الجزائر تعاني من مشاكل التعليم وتواجه صعوبات جمة في هذا الميدان " ففي عام 1954 كانت نسبة 14 بالمئة من الأطفال المتعلمين، أما في عام 1974 فقد وصلت نسبة التعليم إلى 70 بالمئة بالنسبة للأطفال البالغين من العمر ما بين 6 إلى 14 سنة، ونسبة 100 بالمئة أكثر 6 وسنوات.

وعندما نأتي إلى مدينة الجلفة نجد أن أول مدرسة نظامية تعلم النشء كانت عبارة عن كتاب يسمى حاليا: بمدرسة الإخلاص التي تعاقب على تسييرها والإشراف عليها خيرة مشايخ الجلفة على غرار الشيخ: عطية مسعودي رحمه الله ومن جاء من بعده إلى اليوم، هذه المدرسة التي تخرج منها العديد من الإطارات الذين يشغلون مناصب سامية في الدولة الجزائرية ومازالت المدارس القرآنية بولاية الجلفة تخرج الكثير ممن يحفظون القرآن الكريم ويتسمون بقيم عالية، وتأتي ورقتنا البحثية هذه في البحث في مدى تطور المدارس القرآنية في تاريخنا وأثر الأداء السوسولوجي عليها في ظل العولمة وتجاذبات التكنولوجيات الحديثة وانعكاساتها القيمية على النشء، حيث ارتأينا صياغة إشكالية عامة للموضوع كالاتي:

1.1. الإشكالية العامة: تتجلى الإشكالية العامة فيما يلي:

- هل أثرت التراكمات التاريخية للمدرسة القرآنية على بنيتها الهيكلية والسوسولوجية؟.

وتتفرع هذه الإشكالية العامة إلى عدة تساؤلات فرعية هي كما يلي:

- ما هو مفهوم المدرسة القرآنية؟.
- فيما تتمثل مراحل تطور المدارس القرآنية؟.
- كيف تتجسد آليات التنشئة بالمدارس القرآنية؟

2.1. الأهداف العلمية للورقة البحثية:

بما أن البحث العلمي مشروط بأهداف يسعى إلى تحقيقها، فإن هدف هذه الورقة البحثية يكمن في محاولة تحديد إطار عام نظري وميداني في كل من المواضيع التالية: المدارس القرآنية بكل حيثياتها، من خلال البحث في الأدبيات الخاصة بكل موضوع وتبيان العلاقة التأثيرية بينها، وذلك استناداً إلى ما يلي:

- تبيان مفهوم المدارس القرآنية ونشأتها وتطورها خصائصها ووظائفها وأنماطها.
- محاولة تقصي أثر التطور التاريخي على الأداء السوسولوجي داخل وخارج المدارس القرآنية.
- تبيان دينامية وحركية المدارس القرآنية في ظل التطورات العالمية الجديدة والمؤثرة على المجتمع المحلي.

3.1. مناهج الورقة البحثية:

تطرقنا في تحليل موضوعنا هذا إلى عدة مناهج تحليلية، حيث تطرقنا إلى المنهج الوصفي والذي يعتمد على دراسة الظاهرة من الناحية الكيفية والكمية، حيث ساعدنا في وصف المدارس القرآنية من حيث الهيكل والمضمون كما تتواجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، فمن الضروري استخدامه في هذا البحث، وذلك لجمع قدر المستطاع من المعلومات واكتشاف واستخلاص كل ما له علاقة بالظواهر المذكورة آنفاً، كما ادرجنا المنهج المقارن والذي يعالج ظاهرة المدرسة القرآنية بين منهجية وآليات التدريس التقليدية والحديثة وفق ما تنص عليه أعراف الكتاتيب، وقد تطرقنا إلى المنهج التاريخي (الإستردادي) حيث يقوم باسترجاع التجارب واستقصاء الحقائق التاريخية التي تكسب منهجية التدريس والتلقين وفق التجارب السابقة كتأسيس منهجي قائم على نجاعة تجربة التحصيل المعرفي والفكري لطلاب علم القرآن الكريم.

2. نشأة وتطور المدارس القرآنية:

3. ماهية المدارس القرآنية:

نعالج في هذا العنصر الإطار المفاهيمي لمصطلح المدارس القرآنية من الناحية اللغوية للفظة ومن الجانب الاصطلاحي، ثم نتطرق إلى المفهوم الإجرائي وذلك للتوضيح أكثر ولحاجة السياق للمدارس القرآنية ثم نتطرق إلى أهميتها مع الأخذ بعين الاعتبار بأن مفهوم المدرسة القرآنية هو نفسه مفهوم الكتاتيب القرآنية وذلك وفق المفاهيم التالية:

1.3. نحو مفهوم المدرسة القرآنية (الكتاتيب):

مصطلح المدرسة القرآنية أي الكتاتيب لغة: الكتاتيب جمع لكلمة كتاب، والكتاب بضم الكاف وتشديد التاء: تسمى كذلك لأنه موضع تعليم الكتابة، والجمع الكتاتيب والمكاتب وقد استخدم أحياناً الشيخ ابن سحنون والقابسي كلمة "مكتب" عوضاً عن كلمة "كتاب" ويظهر أن كلمة كتاب جمع كاتب، فأطلق اسم المكان على من يعمل فيه، وقول آخر وهو من باب إطلاق المظروف على الكتاب وهي كلمة عربية في أصلها، وفي تداولها، حيث معناها لغة يعود ذكرها في القواميس والأدبيات العلمية العربية المشهورة والمتحدثة عن هذه الموضوع، فالكتاتيب في كتاب لسان العرب لابن منظور جمال الدين: " (والمكتب: موضوع الكتابة والمكتب والكتاب: موضوع تعليم الكتابة والجمع كتاب والمكاتب (ابن منظور، 2009، ص 23).

في حين نجد أن كتاب الله لم يشر إلى لفظة للكتاتيب " المدرسة القرآنية " صراحة إضافة إلى أن السنة المحمدية الشريفة تغيب فيها لفظة الكتاتيب القرآنية، إلا أنه وبالمقابل لم يغفل عن الأمر بالتعليم خاصة ما تعلق بالنشء، كيف لا وقد أنزلت أول آية قرآنية على النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم " اقرأ " الآية الأولى من سورة العلق "، أما المدرسة القرآنية اصطلاحاً: لم تكن الكتاب مفروشة بفراش فاخر أو وسائل متطورة، وإنما هي عبارة عن حصير مصنوعة من الحلفاء أو الدوم، بالإضافة إلى توفير مجموعة من الألواح الخشبية، أقلام من قصب وكمية من الصلصال والصمغ، وجرار للماء وبعض الأواني البسيطة، ومجموعة من المصاحف بالإضافة إلى مجموعة من الكتب الفقهية والنحوية والصرفية والسير وغيرها، لقد تعددت المفاهيم في بلورة وتحديد المفهوم الاصطلاحي للمدرسة القرآنية وهذا إن دلّ إنما يدل على اختلاف الدراسات النظرية، التي تعالج هذا المصطلح والسبب في ذلك هو الاختلاف المتباين في الفكر، وفي العلم وفي التنظير، وهذا الاختلاف يعطي أهمية بالغة لهذا المصطلح مما يزيدنا ضرورة ملحة للبحث عن هذا المصطلح من الجانب اللفظي العلمي ومن بين المفاهيم التي سنتطرق إليها هي ما يلي:

يعتبر التعليم بالمدارس القرآنية تعليماً أولياً، قبل الولوج إلى الزوايا والمساجد في المرحلة الثانوية هذا لا يعني أنه لا يوجد في المدارس القرآنية إلا الصبيان وإنما أغلب روادها منهم الكبار، حيث يرى الباحث طالب عبد الرحمن ابن خلدون في تحليله لمقدمة بن خلدون أن الكتاتيب تعتمد على النقل المتواتر بسند صحيح عن الرسول صل الله عليه وسلم، وفي الأصل تعود إلى الشرعيات منها القرآن والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله" (طالب عبد الرحمن، 1983، ص45).

وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيئها للاستفادة ويتبعها في ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن... وهي مأخوذة من القرآن والسنة فلا بد من النظر في القرآن والسنة وهذا هو علم التعبير، ثم اختلاف روايات القرآن الكريم وإسناده وهذا علم القرآن، ثم إسناده السنة إلى صاحبها، وهذا علم الحديث وفيها استنباط الأحكام والعلوم اللسانية ومنها علم اللغة وعلم النحو والأدب... وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الإسلامية وأهلها (بن قرينة وسمية، غير منشورة، ص14).

يعرف سعدان سعيد جابر الرفاعي المدرسة القرآنية بأنها أماكن مبسطة أنشأت أصلاً لتعليم القرآن الكريم وهي تختلف من مدرسة لأخرى تبعاً لمعلمها وعدد طلابها وما تدرسه (الرفاعي، 1983، ص28).

يعرفها منير مرسي " أنها عبارة عن مكان مستقل أو غرفة من منزل أو حجرة مجاورة للمسجد ملحقة به أو خيمة من خيام الحى سميت خيمة المؤدب (مرسي، 1983، ص283).

إن مصطلح المدرسة القرآنية يطلق على المؤسسة الدينية لتعليم القرآن في الأحياء والقرى وهي المرحلة الأولى من التعليم القرآني في المؤسسة الدينية، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة عمرية يتم فيها التحاق الطالب بالزاوية وهي أشبه ما يكون بالمعهد أكثر من حيث عدد الطلبة والهيكل المعماري وهي أكثر تنظيماً وانضباطاً من حيث البرنامج والمناهج وذلك كله من أجل التدقيق والتفريق بين المدرسة النظامية والمدارس القرآنية (جعفري، 2014، ص51).

يرى الأستاذ عبد الله بن دهيش مصطلح المدارس القرآنية كما يلي: " المدرسة القرآنية عبارة عن حجرة أو حجرتين مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه أنشئ خصيصاً لتعليم القرآن الكريم وعلومه يبنى احتساباً للأجر ومنفعة المجتمع في الدنيا والآخرة كما قد يبنيه شخص أو يكثره ليعلم فيه بأجرة رمزية يتقاضاها من أولياء التلاميذ (طالب عبد الرحمن، 1983، ص48).

يعرفه الدكتور: **حسن عبد الغني أبوغدة**: " الكتاتيب "المدرسة القرآنية " هي جمع كلمة كتاب: وهو مكان التعليم الأساسي، كان يقام غالبا بجوار المسجد لتعليم القراءة والمدرسة القرآنية والقرآن الكريم، وشيء من العلوم الشرعية والعربية والتاريخ والرياضيات وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم.

يعرفها الأستاذ **بوبكر اوي عبد العالي**: " تعتبر المدارس القرآنية مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية لها دور مهم للغاية في تربية النشء الصاعد، وقد أعطيت لهذه المدارس القرآنية هذا الدور الرفيع، لا فقط لأنها تربي وتوسع مدارك الأطفال وتعليمهم تعاليم دينهم فحسب، ولكن أيضا وعلى الخصوص تجعل منهم زيادة على كونهم متعلمين ومواطنين صالحين يعرفون حق الله ويحترمون حقوق الناس.

2.3. نشأة وتطور المدارس القرآنية:

لقد بعث الله سبحانه وتعالى حوالي مائة وأربعة وعشرون ألف نبيا من بينهم ثلاث مائة وخمسة عشر رسولا كلهم جاءوا وبعثوا لتوحيد الله وبالعلم ونشر العلم والقيم السامية. هذا إن دل إنما يدل على تقديس الله سبحانه وتعالى للعلم والعلماء وقرنه مباشرة بالتوحيد والعبادة وهذا العلم لا يتأتى إلا بتضحيات جسام لنشره.

1.2.3. نشأة المدارس القرآنية عند المسلمين قديما:

يعتبر التعليم بالمدرسة القرآنية قديما جدا عند المسلمين، لا سيما وأنها اللبنة الأولى في بناء الحضارة الإسلامية، وظهر هذا التعليم في سنوات مبكرة من فجر الإسلام ويقال أيضا أن العرب عرفوه قبل الإسلام لكن على نطاق محدود، حيث كانت السنة الثانية للهجرة النبوية المباركة أول محطة في التعليم بالمدارس القرآنية.

هذا يدعونا إلى القول أن الإسلام أعطى للمدارس القرآنية ومعلميها أهمية بالغة منذ بزوغه وكشفه غطاء الجهل والظلال عن البشرية، ولم يقتصر هذا النوع من التعليم على الصبيان فحسب بل تعداه إلى تعليم الكبار مبادئ المدرسة القرآنية والقراءة والكثير من أمور دينهم وديناهم، وهو ما تؤكد "رواية عبد الله بن سعيد بن العاص رضي الله عنه.

أن النبي بعد غزوة بدر جعل فداء بعض الأسرى ممن لا مال لهم، أن يعلم الواحد منهم عشرة من الغلمان المدرسة القرآنية فيخلي بذلك سبيله، ولقد ذكر أنه في إحدى المرات جاء غلام لأمه ييكي، فقالت له: ما شأنك؟ فقال لها: ضربني معلمي (السرجاني، 2012، ص10).

وهنا يصدق قول الإمام البخاري رحمه الله حيث قال: " وقد تعلم أصحاب النبي في كبر سنهم " إضافة إلى هذا وبعد إطلاق فكرة التعليم الابتدائي وتعليم الكبار في العهد النبوي، توسع العمل بذلك في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومما يثبت ذلك أن أطفال المدرسة القرآنية في المدينة المنورة خرجوا إلى ظاهرها في يوم الخميس لاستقبال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند عودته من رحلة فتح بيت المقدس فأصابهم جراء السير على الأقدام عناء شديد، فأشار عمر رضي الله عنه ألا يذهب الأطفال إلى المدرسة القرآنية في يوم الجمعة التالي ليستريحوا مما أصابهم، وصار الأمر بعد ذلك عادة، وهو أن يكون يوم الجمعة يوم راحة واجازة ليس لأطفال المدارس القرآنية فحسب بل لكل المشتغلين في دواوين وإدارات الدولة.

واستمر العمل في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك النهج حتى أصبح يطلق عليه اليوم " البرنامج الإلزامي لتعليم الكبار " ويستدل على ذلك في أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل في المدينة رجالا يفحصون المارة، فمن وجدوه غير متعلم أخذوه إلى المدرسة القرآنية .

أما بالنسبة للتعليم المهني والحرفي فلم يكن في الغالب له أمانة خاصة عن طريق المباشرة العملية للمهنة المختلفة، حيث يتعلم الصغار مع الكبار عن طريق التقليد والمحاكاة والتطبيق العملي الطويل مع محترفي الحرف والصناعات حتى يحذقوها ويصبحوا بدورهم ماهرين فيها ومعلمين لغيرهم وهكذا.

ونظرا لقيمة العلم الإسلامي عظم شأنه وحرص على تعليمه وجعل له مراكز وأماكن للتعليم، ففي العصر الإسلامي الأول كانت أماكن التعليم تتركز على المساجد والجماعات حيث كان الصغار يجلسون مع الكبار في حلقة المساجد للتعليم، ومن تعلموا في المسجد " علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس " ويعتبر أول مسجد بني في الإسلام مسجد قباء. حيث كانت تقدم فيه حلقات دينية وحينما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة بنا بها مسجدا ليشجع المهاجرين والأنصار على النشاط والسرعة في العمل، وقد كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يجلس في مجلس هو يعلم أصحابه دينهم ودنياهم، ولما سارت جيوش المسلمين في فتوحاتهم خارج الجزيرة العربية برزت فكرة المدرسة القرآنية بصورة واضحة وتعددت في كافة الأقطار والأمصار التي حل فيها الفاتحون من المسلمين، وقد أدى المسلمون الأولون من أهل الحجاز والشام والعراق ومصر دورا كبيرا في إنشاء هذه المدارس في عهد الخلفاء الراشدين، يعلمون أبناء هذا البلد القرآن الكريم ويلقنهم آيات من كتاب الله المبين، وهكذا وجدت المدرسة القرآنية في البصرة والكوفة والفسطاط والإسكندرية والقبروان وغيرها من أمهات العواصم العربية.

ولاشك أن الغزاة العرب والفاثين لما فتحوا أفريقية أواسط القرن الأول للهجرة فعند أول فتوحاتهم أنشأوا الدور والمساجد، وركزوا اهتمامهم على تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم مكانا " كتابا " بناء بسيط، وإمكاناته متواضعة، يجتمعون فيه لقراءة القرآن الكريم، عطفًا على العناية التي كان يوليها فضلاءهم للكتاتيب وكل دور العلم والدين، ويحيون بذلك في نشره عبر ذويهم وأقربائهم وكل الشعوب المغلوب على أمرها في دينها ودنياها، فعند تدرجنا عبر المراحل التاريخية لتطور المدارس القرآنية، ما شد انتباهنا في موضوعنا هذا الاهتمام الكبير الذي كان يولييه المسلمون في إنشاء ودعم المدرسة القرآنية وتعلم العلم وشؤون الدين، كيف لا وهي أمة إقرأ (بن سحنون، 1972، ص33).

لقد ارتبطت نشأة التعليم الإسلامي ارتباطا وثيقا بظهور الإسلام وبالاهتمام بدراسة القرآن الكريم كمصدر أساسي للمعرفة والتشريع الإسلامي وعليه ظهر منذ بداية فجر الإسلام معاهدان تعليميان أساسيان هما المسجد والمدرسة القرآنية فأخذوا على عاتقهما تعليم القرآن وفقه السنة وكذا غرس القيم والأخلاق الدينية النبيلة للناشئة.

2.2.3. التربية والتعليم في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي:

كان جل اهتمام الاحتلال الفرنسي في البداية السيطرة على أكثر المناطق في الجزائر وبعدها ركز الاحتلال جل تفكيره على حل الأوقاف الإسلامية وفق القرار الذي أصدره الجنرال " دي بورمون " في 8 سبتمبر 1830 ثم أصدر قادة الاحتلال قرارا مكملًا

للقرار الأول في 8 ديسمبر 1830 وينص " على حق التصرف في الأملاك الدينية بالتاجر والكراء " (بن سحنون، 1972، ص131).

وعليه كان التعليم يعتمد على الأوقاف الإسلامية للتعليم وعلى عائدات الأوقاف للإنفاق على هذا التعليم. فمع مرور الزمن تضاعف هذا حتى اختفي وبقي في بعض المدن الكبرى خاصة بعض المساجد والزوايا الجبلية والصحراوية التي بقيت مرابطة حتى لا تندثر الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، فقد قال في هذا الشأن مستشار الدولة الفرنسية " ليون بيكي (Leon Beki) " إن التعليم في الجزائر الآن (1891) قائم تحت إشراف الأهالي أنفسهم والزوايا هي المؤسسة التعليمية الوحيدة في المستعمرة حيث يتعلم فيها التلاميذ القرآن وتفسيره، " ولاشك أن الحروب التي خاضها الجزائريون ضد الاحتلال أدت إلى استشهاد الكثير من المفكرين والعلماء والمثقفين، وهذا أدى إلى فقد الأمة الجزائرية، لأكثر الناس أهمية وتأثيرا وإصلاحا على الأمة.

3.2.3. أماكن التعليم بالمغرب العربي:

تمظهرت أمكنة التعليم بالمدارس القرآنية في بلاد المغرب العربي بأشكال متعددة، احتوت المدارس القرآنية والمساجد والزوايا على مكاتب عمومية وخاصة، وحتى قصور الملوك والأمراء ودور العلماء، وحتى الدكاكين، وبعض الأحيان أصبحت الأسواق والطرقات العامة مكانا مناسباً للتباحث والتناظر، وأول ما ظهر هذا التعليم، ظهر في أواخر القرن الأول الهجري في خلافة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي ولي المغرب إسماعيل بن أبي المهاجر الذي كان نفسه مؤدب أولاد عبد الملك بن مروان، فمضى بالناس أحسن مضي ودعي البربر إلى الإسلام، وعلمهم الحلال والحرام، وقد كان الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - بعث عشرة من فقهاء التابعين من أهل العلم والفضل، قاموا بنشر تعاليم الإسلام أحسن قيام.

4. آليات التنشئة بالمدارس القرآنية:

1.4. آليات التنشئة الدينية بالمدارس القرآنية:

لا ريب أن موضوع التنشئة الدينية أضحى من المواضيع الضرورية لاستشراف مستقبل النشء في ظل مجتمع أحيط بتطور إعلامي ومعرفي واتصالي رهيب، وما أنتج ذلك من اتساع الفجوة بين تأقلم الآباء والأبناء، وعليه يتضح دور الأسرة كمؤسسة اجتماعية وفق البنى والنسق الاجتماعي المتعدد. وتعد التنشئة الدينية من المواضيع الجديرة بالبحث لما لها من مقومات في بناء شخصية الفرد والمجتمع التي تنعكس إيجاباً أو سلباً وفقاً للطرق والأساليب المنجزة عن العملية التربوية الدينية، فمن خلال التنشئة الدينية والثقافية تتحدد ملامح وسمات هوية المضمون القيمي والمعياري والسلوكي للفرد الفاعل في المجتمع (آيت أحمد، 2013، ص19-21).

إلا أن التنشئة الدينية لا تقتصر على الأسرة فقط إذ أنه تشاركها العديد من المؤسسات التربوية المختلفة مثل المدرسة والمدرسة القرآنية وجماعة الرفاق والإعلام ومختلف البنى التي تعنى بتنشئة الفرد تنشئة متعددة الجوانب، وتعتبر أساليب التنشئة الدينية أساليب معقدة متشعبة وليست جامدة، ولا متجانسة سواء في الريف أو المدينة فهناك عوامل عديدة تؤثر في أساليب التنشئة وهذه العوامل تتغير من زمان لآخر ومن مكان لآخر حسب حركية الإنسان الزمنية.

إن ثقافة المجتمع العربي بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة تحمل مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والأعراف والمعايير وربما السياسة التي يخضع لها الفرد أو المؤسسات التي تمثل الآليات التي عن طريقها يتم إخضاع عامة الناس للثقافة السائدة، مما يزيد في

إعادة إنتاج خطاب سلوكيات الأعراف التقليدية عوض المبادئ الدينية فعملية التنشئة الدينية تعمل على العناية بالجانب الروحي والسلوكي معا للوصول الى نمو وشامل للفرد عقديا وإيمانيا واجتماعيا، ونحاول إبراز أهم الوظائف التربوية لها في النقاط التالية:

- البدء بتعليم الطفل أصول الدين منذ سن مبكرة.
- الإجابة السليمة والواعية على كل أسئلة الطفل بما يتناسب مع سنه.
- تعليم الطفل القيم والمبادئ الخلقية في الإسلام بأساليب غير مباشرة مثل: العدل، المساواة، الحرية، الحق، الإخاء وتعليمه كذلك قيمة التسامح والانتماء الوطني ليشمل حبه واهتمامه أبناء وطنه كافة واحترام الانتماء الإنساني لكل أبناء العالم.
- استخدام القصص لتنمية مخيال الطفل.
- تقديم القدوة الحسنة للطفل ليتأثر بها في سلوكياته.
- إشعار الطفل بالأمان والحب والجمال.
- إظهار محبة الله سبحانه وتعالى لنا وتجنب ذكر العذاب له في سنه المبكرة.
- إتاحة الفرصة للنمو الطبيعي للطفل دون قيود.
- غرس قيم التواصل مع الآخرين في الطفل.
- العمل على تشجيع وتثمين السلوكات الحسنة للطفل.
- غرس احترام القرآن وطلب العلم في الطفل.

تعد المدرسة القرآنية المؤسسة الثالثة وأحيانا أخرى الثانية بعد الأسرة مباشرة لقيامها بتنشئة الطفل تنشئة دينية صحيحة روحيا ومعرفيا وسلوكيا وبدنيا وأخلاقيا ومهنيا، تبعا لتوجيههم نحو اكتساب العادات الفكرية والروحية والاجتماعية بما يسمح لهم بأخذ مكانة في المجتمع، وتعمل المدرسة القرآنية على تنشئة دينية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، خالية من البدع والخرافات والإشراك بالله عز وجل، وتعتمد المدرسة القرآنية على غرس قيم رمزية دينية دون عنف أو إجبار مع مراعاة كل الجوانب النفسية والاجتماعية.

إن مجموع الروحانيات والسلوكيات تجعل من الناشئة يعملون على تقليد ومحاكاة ذلك من خلال الاحتكاك اليومي بالمؤدب والأقران مما يكسبهم ويرسخ فيهم قيما دينية نبيلة، تعد الوظيفة الدينية من أهم الوظائف التي أنشئت من أجلها المدارس القرآنية حيث لا يمكن أن نتكلم عن كتاب دون التكلم عن الوظيفة الدينية.

2.4. آليات التنشئة الاجتماعية في المدارس القرآنية:

لاشك أن أول مدارك الطفل الذي يفتح من المدارس القرآنية هي مدارك القراءة، حيث تعتبر أول الخطوات في طريق التعلم والمعرفة ويقول في ذلك العلامة عبد الرحمن بن خلدون " إن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية وهي رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهي ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهي صناعة شريفة. إذ أن الكتابة من خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان" (بن خلدون، 1986، ص338).

وفي هذا السياق تعمل المدارس القرآنية على تنشئة الفرد تنشئة دينية اجتماعية وتعمل على إعداد الفرد لتحمل مسؤولية في المجتمع، إضافة على تعليم المدرسة القرآنية الناشئة مبادئ القراءة والمدرسة القرآنية وحفظ كتاب الله عز وجل فإنها تبث فيهم قيما إسلامية تحمل الكثير من الرمزية الدينية المتشعبة بأعراف المجتمع وتقاليده من خلال النظام المعمول به داخل المدارس القرآنية من تنظيم وقدم وروح وترتيب وتضامن وإيثار وغيرها من التي يمتاز بها الفرد المسلم ويتمظهر كل هذا ضمن سلوكيات المؤدب " المعلم " ومن خلال سلوكيات أقرانه وفق ميولا ته واتجاهاته.

5. المقاربة السوسيولوجية للبحث:

عند البحث في أي موضوع لظاهرة اجتماعية ما يستدعي الإمام بكل جوانبه النظرية، ولكي يكون هذا الاستدعاء علميا ودقيقا ونتائجه حقيقية وتعبر عن الواقع فعلا، يجب اعتماد مقاربة سوسيولوجية للموضوع وفق الرصيد النظري ووفق إشكالية الموضوع وأهدافه، هذه المقاربة التي تعتبر الوعاء النظري الذي يحمل الموضوع من الإشكالية مروراً إلى النتائج، ففي موضوعنا هذا اقترحنا مقاربة " بيير بورديو " وفق نظرية إعادة الإنتاج المنضوية تحت نظرية رأس المال الثقافي، والتي نراها مناسبة لإشكالية البحث وأهدافه، هذه الإشكالية التي تبحث في ما يلي: هل التراكمات التاريخية أثرت في شكل ومضمون المدرسة القرآنية أم لا؟ في ظل التفاعل الاجتماعي المتسارع وطغيان العولمة والتكنولوجيات الحديثة لا سيما الانترنت.

يعبر مفهوم رأس المال الثقافي cultural capital عن مجموعة من الرموز والمهارات والقدرات competences الثقافية واللغوية والمعاني التي تمثل الثقافة السائدة، والتي اختيرت لكونها جديرة بإعادة إنتاجها، واستمرارها ونقلها خلال العملية التربوية، ويركز هذا المفهوم على أشكال المعرفة الثقافية والاستعدادات التي تعبر عن رموز داخلية مندمجة تعمل على إعداد الفرد للتفاعل بإيجابية مع مواقف التنافس وتفسير العلاقات والأحداث الثقافية (حسني عبد العظيم، 2020، ص 15-20).

ويقرر بورديو أن رأس المال الثقافي يتشكل من خلال الإمام والاعتداد على الثقافة السائدة في المجتمع وخاصة القدرة على فهم واستخدام لغة راقية educated language ويؤكد على أن امتلاك رأس المال الثقافي يختلف باختلاف الطبقات، ولهذا، فإن النظام التعليمي يدعم امتلاك هذا النمط من رأس المال، وهذا يجعل من الصعوبة بمكان على معظم أفراد الطبقة الدنيا النجاح في هذا النظام.

يذهب بيير بورديو مع باسرون في كتابه إعادة الإنتاج الثقافي وإعادة الإنتاج الاجتماعي إلى أن الآباء في أسر الطبقة الوسطى يزودون أبناءهم برأس مال ثقافي يتمثل في كفاءات لغوية وثقافية متنوعة، وتتطلب المدارس "التي يتحكم الأغنياء في محتوى المواد التي تعلم فيها" توافر تلك الكفاءات للنجاح في التحصيل الدراسي، ولكنها تفشل في تعليم تلك الكفاءات لأطفال أسر الطبقة العاملة. وهكذا نجد أن عمليات التقويم الدراسي التي تبدو محايدة في الظاهر تعمل في الواقع على إضفاء المشروعية على اللامساواة الاقتصادية، من خلال ترجمة الكفاءات الاجتماعية الثقافية إلى بناء هرمي متدرج من الإنجاز الدراسي، الذي يبدو محصلة لعدم المساواة في القدرات الطبيعية. ويوجد رأس المال الثقافي - حسب رؤية بورديو - في أشكال متنوعة، حيث يشمل الميول والنزعات الراسخة والعادات المكتسبة من عمليات التنشئة الاجتماعية، كما يمثل اميريقياً في أشكال موضوعية مثل الكتب والأعمال الفنية والأدبية، والشهادات العلمية،

وفي مجموعة من الممارسات الثقافية مثل زيارة المتاحف، وارتداد المسارح، وحضور الندوات، وغير ذلك من ممارسات مختلفة في مجال الثقافة، ومن ثم ينتج رأس المال الثقافي ويوزع ويستهلك في مجال خاص به، وهو مجال الثقافة، باعتباره مجالا فكريا متخصصا له منطقته الخاص وعملياته المميزة، وله مؤسساته الخاصة، مثل النظم التعليمية، والجمعيات العلمية، والدوريات، وله هويته وأيديولوجيته في التبعية والاستقلال عن المجالات الاجتماعية الأخرى كالاقتصاد والسياسة، ويذهب "بورديو" إلى أن رأس المال الثقافي ينقسم إلى قسمين، الأول رأس المال الثقافي المكتسب على أساس المؤهل التعليمي وعدد سنوات الدراسة، والثاني رأس المال المورث من وضع العائلة وعلاقاتها بالمجالات الثقافية المختلفة، ويحقق الشكل الأخير أرباحا مباشرة في المحل الأول داخل النظام التعليمي، كما أنه يحقق تلك الأرباح في أماكن أخرى مثل سوق العمل، بالإضافة إلى أنه يحقق مكاسب التميز للفرد في كافة المجالات، ويتشكل رأس المال الثقافي المورث من خلال منح العائلات لأبنائها مجموعة من أنماط الحياة المتميزة، وشبكة من العلاقات الاجتماعية القوية، والتي تصبح شكلا من التميز تستفيد منه الأجيال التالية، إذ ثمة اتجاه لدى هذه العائلات نحو صياغة سلوك أفرادها، وتشكيل قيمهم على مدار الأجيال، ويتم ذلك من خلال بعض الممارسات مثل نمط التعامل الراقى، التأهيل العلمي والأخلاقي، تدعيم عادات فردية معينة، تشكيل نمط حياة مختلفة، ومستوى معيشي مغاير، ويسهم كل ذلك في تعميق الاختلافات الطبقة للمجتمع.

أما رأس المال الثقافي المكتسب فيتوقف اكتسابه على بعض العوامل مثل الفترة الزمنية، طبيعة المجتمع، والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، بالإضافة إلى القدرات الذاتية، والسمات الجسدية للفرد، وثمة ترابط بين رأس المال الثقافي المورث والمكتسب، حيث يمكن للفرد أن يطور رأس المال الثقافي المورث من خلال قدراته العضوية.

كما يتضح مما سبق أن رأس المال الثقافي لدى بورديو يعبر عن القدرات والمهارات العقلية والجسدية، وكل أشكال المعرفة والخبرات التي يتحصل عليها الفرد إما نتيجة انتسابه لعائلة أو جماعة معينة أو نتيجة لمؤهلاته الذاتية وتنميتها.

1.5. ظروف التمدد الحديثة في المدارس القرآنية:

لقد استمرت المدرسة القرآنية رغم بساطتها دهورا طويلا في الإسلام، وهي تجمع أحيانا بين التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والذي كان محل اهتمام ورعاية القادة والمفكرين.

لقد قامت المدرسة القرآنية بدور تربوي كبير وملفت حيث نجدها في كل درب وفي كل قبيلة وفي كل حي، وكان يرتادها جل الأطفال تقريبا ليحفظوا بعض السور ويتعلموا مبادئ القراءة والكتابة، وينهلوا من منابع السلوكات الحميدة والمستقيمة من خلال محاكاة المعلم، إذ أنه يمثل الصورة الثقافية والدينية للمجتمع آنذاك، متماشيا مع المصلحة العمومية والقومية الوطنية، فمثلا إذا توفي عالم أو أمير عادل عطلت المدارس القرآنية يوم دفنه تعبيرا عن أهمية هؤلاء الأشخاص في المجتمع. ومع مرور الزمن تقاعست الهمم وزحزحت المدارس القرآنية عن المشهد الديني والثقافي والقومي للمجتمع وألصقت بها بعض التهم، وأصبحت في خبر "كان" إلا القليل منها الموجود والذي مازال يقاوم في ظل التطور التكنولوجي وتأثيراته السلبية على سلوكات النشء.

6. خاتمة:

لقد جاءت الورقة البحثية الحالية لتسليط الضوء على التطور التاريخي للمدارس القرآنية على الفرد والمجتمع، وتكمن أهمية هذا في كون المدارس القرآنية تعتبر مؤسسة تربوية دينية قائمة بذاتها لها برامجها الخاصة ومناهجها وأدواتها وطرق تدريسها، والتي تميزها عن أي مؤسسة تربوية أو دينية أخرى كما أن المؤدب المشرف عليها له مميزات خاصة تؤهله لأداء وظيفته على أكمل وجه.

إن التطور الذي عرفته المدارس القرآنية من صورتها البسيطة والمتمثلة في معلّم القرآن الذي يحفظ الأطفال سور القرآن الكريم إلى الصورة الحديثة التي تقترب في بنيتها ومحتواها من المدرسة الحديثة، هذا التطور هو ما لفت انتباه الباحثين الأكاديميين إلى التطور في المدارس القرآنية وتبسيط الضوء على دورها التربوي الديني والتعليمي، الذي له أثر واضح في تكوين قيم النشء، خاصة في المراحل الأولى من حياة الإنسان ومن خلال نتائج الورقة البحثية خلصنا إلى أنه: أثرت التراكمات التاريخية للمدرسة القرآنية على بنيتها الهيكلية والسوسيولوجية.

وفي الأخير لا يمكن القول إلا أننا نرى أن موضوعنا هذا يعتبر موضوعا حساسا وموضوع الساعة كيف لا والصراع اليوم القائم بين الشعوب لم يعد صراعا عسكريا فحسب بل صراعا ثقافيا ودينيا وحضاريا، وعليه يبقى الموضوع جديرا بالبحث والتعمق أكثر في حيثياته وخباياه في دراسات أكثر تعمقا وتحليلاً وتفسيرا للواقع بكل متغيراته ومن خلال ما سبق نخلص إلى الاقتراحات والتوصيات التالية:

- تطوير أكثر لوسائل وأداء المدرسة القرآنية لتواكب التطورات التكنولوجية الحاصلة.
- التكفل المادي والمعنوي بمعلم المدرسة القرآنية لتحفيزه على العطاء أكثر فأكثر.
- إعادة النظر في تنظيم منهاج المدارس القرآنية والعمل على توحيدها.
- إيجاد آلية لربط المدرسة القرآنية بالمدرسة العمومية لزيادة التحصيل الدراسي.

7. قائمة المصادر والمراجع:

- منير مرسى. (1983). *التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية* (المجلد 3). القاهرة: عالم الكتاب.
- Seddk Touati). sans date. (*la formation des cadres* .O.P.U.
- ابراهيم حسني عبد العظيم. (12 06 2020). www.ahewar.org. مفاهيم سوسيولوجية حديثة. الجلفة، الجزائر.
- ابن أحمد التيجاني طالب عبد الرحمان. (1983). *الكتاتيب*. تلمسان، تلمسان، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- جمال الدين ابن منظور. (2009). *لسان العرب*. القاهرة: دار التوفيقية للتراث.
- راغب السرجاني. (2012). *المدارس القرآنية في الحضارة الإسلامية* (المجلد 01). القاهرة.
- زليخة بن قرينة، و جموعى سمية. (2006). *المدرسة القرآنية وأثرها على تكوين التلاميذ مع المحيط المدرسي* (المجلد غير منشورة). الجلفة: جامعة زيان عاشور.
- سعدان سيعد جابر الرفاعي. (1983). *النموذج الإسلامي لتمويل التعليم* (المجلد 1). مؤسسة المختار.
- عبد الرحمان بن خلدون. (1986). *المقدمة، ط1، بيروت*. (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الكتاب العلمية.
- عبد القادر جعفري. (2014). *المدرسة القرآنية والوعي الديني لدى المرأة*. الجزائر 2. : جامعة الجزائر 2.

- محمد بن سحنون. (1972). *آداب المعلمين* (المجلد 01). (تحقيقات حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة: محمد العروسي المطوي المالكي، المحرر) تونس، تونس: مكتبة الفقه.
- مريم آيت احمد. (2013). *التنشئة الدينية وسؤال مستقبل جيل المعرفة*، مصر. (المجلد 01). القاهرة، مصر: دار السلام.